القراءة النقدية عند
عبد القاهر الجرجاني

المدرس المساعد
شاكر جدعان جبل
جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد....

فقبل أن أتناول بحثي هذا بعنوان القراءة النقدية عند عبد القاهر الجرجاني لا بد لي أن أتناول أنموذجا من حياته ملخصاً مما احتواه من علم وفير في النحو والبلاغة والأدب والنقد. وعبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني [١]، فارسي الاصل جرجاني الدار [٢]، لم يخرج عن بلده [٣]،كان شافعي المذهب اشعري الاصول مع دين

---

[1] ينظر :الاعلام قاموس التراجم، ج٤/١٧٤، تأليف: خير الدين الزركلي،ط٣.

[2] ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة ج٢/١٨٨، تأليف: الوزير جمال الدين ابي الحسن القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

[3] ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ج٢/١٠٦، تأليف: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية.

وسكون[١] أخذ النحو عن الشيخ أبي الحسين محمد بن حسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي نزيل جرجان ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي واكثر عنه[٢]، ومنذ ذلك الحين صار علماً بالنحو البلاغة فوضع أصولها. [٣].

قرأ في تصانيف النحاة والادباء وتصدر بجرجان وحثت اليه الرحال – صنف التصانيف الجليلة، فضلا عن ذلك كان له شعر رقيق[٤]، توفي إمام اللغة العلامة صاحب التصانيف المفيدة عبد القاهر الجرجاني (رحمه الله).سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[٥]، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة [٦]،إلا أنّه خلّف لنا تصانيف رائعة أمتازت بالبلاغة التامة والفصاحة البليغة التي يستطيع الباحث العودة اليها متى وكيفما شاء لسهولة الفاظه ولرونقها. فقد كانت تلك التصانيف في كل موضوع تقريبا ومن أمثلة تصانيفه (العمدة) في التصريف و (الجُمل) في النحو و (المغنى) في شرح الإيضاح في ثلاثين مجلدا. اختصره في شرح آخر سماه (المقتصد) في شرح الإيضاح، ومن تصانيفه الأخرى (إعجاز القرآن) و (العوامل

---

[1] ينظر فوات الوفيات ج٢/٣٦٩ – ٣٧٠ تأليف: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق: الدكتور احسان عباس، بيروت ،لبنان.

[2] ينظر: إنباه الرواة،ج٢/١٨٨

[3] ينظر: الاعلام، ج٢/١٧٤.

[4] ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يقصر من حوادث الزمان، ج٣/١٠١، تأليف: الامام أبو محمد عبد الله المكي (ت ٨٦٧هـ)، بيروت، لبنان.

[5] ينظر: فوات الوفيات، ج٢/٣٦٩ – ٣٧٠.

[6] ينظر: بغية الوعاة ، ج٢/١٠٦

المئة) في النحو و (الكبير و الصغير) في إعجاز القرآن و (التلخيص) وهو شرح لكتاب الجمل و (التتمة) في النحو أيضا وله كتاب في العروض .

ولا يفوتنا ان نذكر (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) وهما من أنفس الكتب في البلاغة العربية، ويشهد لها التاريخ بذلك ويمثلان منهج عبد القاهر الجرجاني الأدبي النقدي أصدق تمثيل.[١]

وبعد ان أخذت شيئاً من حياة الإمام عبد القاهر الجرجاني تناولت القراءة النقدية عنده وكان ذلك في خمسة مباحث.

المبحث الأول تحدثت فيه عن الجانب الأخلاقي ، والثاني تكلمت فيه على الصورة، والثالث تحدثت عن اللفظ والمعنى، والرابع تحدثت عن التخييل والتصوير، والخامس عن الذوق وتحليل النصوص وقد ملت في ذلك كله الى الاختصار ما استطعت إلى ذلك سبيلا مراعاة مني للوقت والمجال الذي أكتب فيه فما أجهل اني محدد في مثل هذا المقام وأترك الاطالة الى وقت لاحق ان شاء الله تعالى. والله أسأل ان يوفقنا فيما نقول وفيما نعمل ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير.وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلاةً وسلاماً دائميين باقيين الى يوم الدين على حبيب اليتامى والمساكين محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر المحجلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

---

[1] ينظر: إنباه الرواة ج٢/١٨٨،
وينظر: مرآة الجنان ج٣/١٠١،
وينظر: بغية الوعاة ج٢/١٠٦.

المبحث الأول

الجانب الأخلاقي – الصدق والكذب

ظل هاجس الصدق والكذب او ما يطلق عليه الجانب الأخلاقي غير بعيد عن النقد العربي ولا سيما في مراحله الأولى التي امتازت بالتأثير الديني على الجانب اللغوي ، فظل النقد متأثرا بالقرآن والسنة الذين أفرزا عقولا – على مر السنين – ولدت جدلا في المدى الذي يرتبط فيه الشعر بالدين أولاً ثم أثرَ هذا الشعر في عملية الإبداع التي باتت تؤرق الإبداع ثانيا. ومن هنا شهدت بذور ولادة هذا المصطلح اتجاهات عدة، أمتاز الأول بالتمسك الديني وان يكون الجانب التربوي غير بعيد عن كل عملية إبداعية فيما كان الجانب الثاني ممهداً لإطلاق العنان لعملية الإبداع ولذلك تظهر في التراث أقوال كما هو عند الأصمعي الذي يرى ان طريق الشعر يسير في الشر واذا دخل في باب الخير لان ، ضارباً بحسان بن ثابت مثلاً وجودة شعره في الجاهلية في حين أخذ شعره نحو الهبوط بعد أن اعتنق الإسلام. [1]

وشهدت الصراعات المعاصرة وجهات نظر متباينة في مدى تعامله (عبد القاهر الجرجاني) مع هذا الجانب. ففي الوقت الذي أخذ بعض النقاد طريقاً يبدو الأكثر غرابة عند المعاصرين وهو ما يتمثل عند الدكتور مصطفى ناصف الذي رأى في الجرجاني أنه...(... شجع بسحر منطقه وتأثير خمول الثقافة العربية بعد القرن الخامس – على تشقيق – الشعرة وظل المفسرون يضربون في التوكيد

---

[1] ينظر: فحولة الشعراء، ٤٦، الاصمعي (ت ٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

والتخويف والتطمين والتصديق والتكذيب وسائر المعاني المتفرعة عن ملاحظات دلائل الإعجاز خاصة)[١] .

وهنا يتبادر شعور عن السبب الذي جمع بين المفسرين بقضية الصدق والكذب؟ ثم ما علاقة هذا كله بعبد القاهر الجرجاني؟ الأمر الذي لم يلتفت اليه الدكتور محمد غنيمي هلال، فأخذ بمعالجة القضية من باب آخر، إذ تطرق الى عبد القاهر في صدد معالجة طروحات كورتشه. ولذلك جمع المقارنة بينهما قائلا:" لكن كروتشه" لا يرى مندوحه للفنان من الصدق، أي تعبير الكاتب عند ذات نفسه ومافي فكره، لكنه يفرضه عليه باسم الجمال لا باسم الخلق. اذ لا يقصد الى مراعاة الكاتب للقانون الخلقي وإنما لمراعاته للواجب الفني في صدق التعبير وقوته. وفي هذه الوجهة يكاد يلتقي عبد القاهر مع كروتشه.."[٢].

اذن عبد القاهر من المؤمنين بالصدق الفني ولوكان على حساب الصدق الاخلاقي، وهذا الكلام به حاجة الى مراجعة. فعبد القاهر على الرغم من اهتمامه بالصدق الفني لكن ليس على إهمال كلي للأخلاق او الجانب الديني، لأنه يبحث في " إعجاز القرآن قبل أن يكون ناقدا أو بلاغيا وإنما كتب ما كتب خدمة لعقيدة دينيه أو رغبة في ان يفهم الناس اعجاز القرآن، كما ينبغي ان يفهم في رأيه..."[٣].

---

[1] نظرية المعنى في النقد العربي، د.مصطفى ناصف، ٥١، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، ٢٠٠٠م.

[2] النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ٢٨٩، دار الثقافة ،بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٣م.

[3] نظرية عبد القاهر في النظم، د.درويش الجندي ،٨-١٩،مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٠م.

وكما ذهب بعض الباحثين المتخصصين في دراسة عبد القاهر الى أنه " لا نتوقع – بطبيعة الحال– من صاحب (الدلائل) ومن إمام أشعري محافظ أن يهمل المعيار الأخلاقي كليا في نقد الشعر واختيار نماذج منها...) [١].ولعل ما يشفع ذلك أمثلته التي استقاها تطبيقا لمادته النظرية . فعبد القاهر في الفصل الخامس في (وصف الشعر) لا يأخذ إلا الأمثلة التي تعود على القاريء بالمتعة الجمالية الممزوجة بالفائدة. [٢].

كما أنّ تصريحاته في كتابه المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام تشير الى الاهتمام بالجانب الأخلاقي ((.. لأشرف أجناس الشعر وأحقها بأن يحفظ ويروى ويوكل به المهم ويفرغ له البال وتصرف إليه العناية ويقدم في الدراسة ويعمد في الصدور ويستودع القلوب، ويُعدُّ للمذاكرة..ويحصل للمحاضرة... وذلك ما كان مثالا سائرا ..ومعنى نادرا وحكمة وأدبا..)) [٣].

وما هذه إلا نصائح للقارئ بدراسة الشعر الذي يمتاز بصدق فني ذي حكمة وأدب فيها دليل على عدم إبعاد عبد القاهر للجانب الخلقي وهي إشارة تحمل رسالة بأن الأدب الذي يكون في طياته قيمة تربوية لا يخلو من المتعة الفنية

---

[1] مختارات عبد القاهر الجرجاني،(دراسة نقدية في ضوء فكره النقدي)، ماجستير ،عايش محمد العايش، ١٥٨.

[2] ينظر أسرار البلاغة، ٤٦٩– ٤٨٢، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط١، ١٩٧٢م

[3] المختار من داوين المتنبي والبحتري وأبي تمام، عبد القاهر الجرجاني، ٢٠١، تحقيق عبد العزيز الميمني، نقلا عن مختارات عبد القاهر الجرجاني، دراسة نقدية في ضوء فكره النقدي، ١٦٢

والجمالية.. معززا ذلك في دفاعه عن الشعر ومالصق به من تهم كالسخف والهذي ، فهو يريد الشعر ليعرف به (مكان البلاغة ،وأجعله مثالا في براعة أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة، وانظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان، وأتبين الفصل والفرقان) [١].

وينشغل الدكتور – عبد العزيز حمودة– بعيدا عن الجدل المعاصر حول مفهوم (الصدق والكذب) عند الجرجاني ليرفض ربط (عجلة الشعر بعجلة التصديق والتكذيب على أساس البنية التي تردنا بالضرورة الى صدق القول فيمن يقال فيه أو كذبه) [٢].ويرى الدكتور حمودة أن عبد القاهر يؤكد انه يجب ألاّ (نأخذ على الشاعر تعامله مع أمور أو قضايا تبرم أو تنقض، أي تحتمل الصدق والكذب، إذ إن ما يعتد به هو الصدق أو الكذب داخل التخييل او النسق او النظم الشعري ومحاولة إثبات صدق أو كذب ماورد فيه القول الشعري خارج نطاق الحجج العقلية المنطقية.) [٣].

أما سياق النظم فيعني عدم الرجوع الى مايرد القول الشعري فيه خارج التخييل، أي العودة الى الواقع المادي الخارجي واختبار صحة القول او كذبه على أساسه) [٤].

---

[1] دلائل الاعجاز، ٧٣، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق وشرح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط١، ١٩٦٩.

[2] المرايا المقعرة،٤٣٢ ، د.عبد العزيز حمودة، ، عالم المعرفة، الكويت.

[3] المصدر نفسه، ٤٣٣

[4] المصدر نفسه ،٤٣٣

اذن عبد القاهر يرى أنّ الألفاظ بمجرد دخولها الشعر تكون بعيد عن كونها صدقا أو كذبا، وبمجرد دخولها التخييل المتأتي عن طريق الأشياء لم تعد هي الأشياء نفسها لان الشاعر أعاد انتاجها من جديد وهذه الجدة يكون الخيال صاحب الفصل في الإجادة أو الإساءة بحسب استعمال الشاعر له. وهو ما عبر عنه الجرجاني في أثناء تحليله لعبارة (خير الشعر أكذبه) (فهذا مراده لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعرٌ فضلاً ونقصا وانحطاطاً وارتفاعاً، بأن ينَحَل الوضيعَ صفةً من الرفعة هو منها عار، أو يصفَ الشريف بنقص وعار، فكم جواد بخّله الشعر وبخيل سَخّاه، وشُجاع وسمه بالجُبن وجبان ساوى به الليث... ثم لم يُعتبَر ذلك في الشعر نفسه حيثُ تنُتقدُ دنانيره، وتنتشر ديابيجه، ويُفتق مسكه فيضوعُ أريجهُ) [1].

فالجودة ليست في الشعر نفسه بل بالتخييل ،وهو الامر الذي أكده حازم القرطاجني وقد أشار الدكتور إحسان عباس الى ذلك قائلا:".. إلا أن حازما بعد هذا كله يرجع من حيث بدأ فيرى ان الاعتبار في الشعر ليس بالنظر الى الصدق والكذب بل بالنظر الى التخييل وأن الصدق والكذب أمران يرجعان الى المفهومات لا الى الدلالات"[2].

---

[1] اسرار البلاغة، ٢٧١

[2] تاريخ النقد الادبي عند العرب، د.احسان عباس، ٥٤١،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م. وينظر: منهاج البلغاء وسراج الادباء، حالزم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

اذن عبد القاهر مؤمن بان التخييل (لا يمكن أن يقال انه صدقٌ وان م أثبته ثابت، وما نفاه منفيّ، وهو مفتنُّ المذاهب كثير المسالك) [1].

وعبد القاهر لم يرفض إيمان بعض الفرق بالصدق والكذب معيارا للشعر ولكن يرى أن المهم في القصيدة ليس الصدق والكذب بل التخييل [2].فهو لم يصرح بمعارضته لمن قال ان (خبر الشعر أصدقه أو اكذبه) بل أخذ يعلل السبب الذي جعل هؤلاء يقولون بان الشعر صدق او هؤلاء الذين قالوا بأن الشعر كذب ، فهو يقول (... فمن قال (خيره أصدقه) كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوُّز الى التحقيق والتصحيح، واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح، أحبَّ اليه وآثر عنده، اذ كان ثمره أحلى ،وأثره أبقى، وفائدته أظهر ،وحاصله أكثر، ومن قال (أكذبُه) ذهب الى ان الصنعة إنما تمُدُّ باعها ،وتنشر شعاعها ،ويتّسع ميدانها، وتتفرّع أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويُدّعى الحقيقة فما أصله التقريب والتمثيل)[3]. وبرهن تطبيقيا على ذلك في ضوء تحليله لبعض الأبيات.

و في ضوء ما مضى يتضح ان الأمر ليس هو صدق الشاعر او كذبه لأنه ليس من اليسير القول بان للقصيدة مثيلا في الحياة فهذا محال لأن المادة المستوحاة من الحياة نضجت في مخيلة الفنان ليعاد انتاجها الى الحياة ولكن بزي يختلف تماما عن سابقتها .. لان التخييل كان قد باشرها في عقل الفنان، وتتفق الباحثة نهلة بنيان مع الفهم المعاصر ولا سيما الدكتور حمودة وهي تؤكد كلامها معتمدة

---

[1] اسرار البلاغة ،٢٦٧

[2] ينظر: المصدر نفسه ،٢٦٨.

[3] أسرار البلاغة، ٢٧٢.

على كلام الشاعر والاديب ادونيس، تقول الباحثة معللة عدم اهتمام الجرجاني بالجانب الاخلاقي ((لأنه في الاساس لا يتعامل مع الواقع العيني لكي نحكم عليه بالصدق او الكذب، فالشعر المنطوي على التخييل يؤسس عالمه الخاص وواقعه الاخر، وهو في هذا لا ينقل الاخبار او الافكار العقلية او يرد العادات والتقاليد انما يوحي ويومئ ويبشر فاتحا أفقا من الصور مؤسسا له مناخات من التخيلات)[1].

ومن المناسب ان تشير الى أنّ موقف عبد القاهر من جعل قيمة تربوية للشعر في مقولاته التي ينسب فيها اليه أثر الاصلاح ونقل الاخلاق من جيل لآخر[2].

ويذكرنا بموقف كروتشه وهو ينسب الى العمل الفني دوراً ادراكيا تربويا فالفن من وجهة نظره – الذي يتفق هنا كما يبدو مع عبد القاهر – (اكمال للنقص) اذ ان الفنان ينطلق من ان العمل الفني يولد في رحم الحياة. ولهذا يعالج الشاعر خللا رأه وهو يطرح البديل معالجا ذلك الخلل دون ان يقول للمتلقي إن هذا النموذج يعالج خللاً بل ان النموذج المطروح الذي تركه الشاعر يطلب ذلك من المتلقي . ومن هنا فان الشاعر يقول للمتلقي من خلال نموذجه ايها المتلقي (كن انساناً آخر)[3].

---

[1] الصورة التخيلية في التراث البلاغي والنقدي، دكتوراه، نهلة بنيان، ٧٦.

[2] ينظر: دلائل الاعجاز، ٦٤.

[3] محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه،جامعة بغداد– اللغة العربية – الادب في مادة (نظرية الادب) للعام الدراسي، ٢٠٠٠– ٢٠٠١

وهذا ما يفهم من قول الجرجاني ((.. وكيف دار الأمرُ فإنهم لم يقولوا: "خير الشعر أكذبه)) وهم يريدون كلاما غُفلا ساذجاً يكذب فيه صاحبهُ ويفُرط ،نحو ان يصف الحارس بأوصاف الخليفة، ويقول للبائس المسكين:'إنك أمير العراقين" ولكن ما فيه صنعة يتعمّل لها، وتدقيق في المعاني يحتاج معه الى فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد، والله الموفق للصواب) [1]

المبحث الثاني: الصورة

دارت البلاغة العربية القديمة في فلك النقد وهي تبحث عن الوسائل التي يمكن ان تترك من خلالها أثراً في المتلقي ولعل في مقدمة تلك الوسائل التي تقع على عاتق المبدع وهو يتعامل مع النقد اختياراللفظ المناسب في المقام المناسب، ومدى نجاح هذا الاختيار في إحداث التأثير المناسب على المتلقي.

وارتبط مفهوم الكلام عند العرب بالوضوح المتوخي من السياق، فإشارات النظم معقود منذ البداية على الرغم من اختلافات اجناسها على حسن التأليف غاية في التأثير على المتلقي فهذا أبوهلال العسكري يؤكد ((..اجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل والخطب والشعر، وجميعها تحتاج الى حسن التأليف وجودة التركيب..)) [2].

---

[1] اسرار البلاغة، ٢٧٥

[2] كتاب الصناعتين ، ١٩٧، ابو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.

وما هذا إلا تمهيد لمرحلة تالية يقول فيه إن التشبيه ((.. يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً)) [١].

العرب اذن كما هو معروف أمة بيان بدأ فيها البيان ممثلا كل تفاصيل حياتهم، ولذا قال الجرجاني في الاسرار ((واذا كان هذا الوصف مقوّمَ ذاته وأخصّ صفاته ،كان أشرف أنواعه ماكان فيه أحلى وأظهر، وبه أولى وأجدر..)) [٢].

ومع تقادم الزمن تأخذ الصورة طابعا آخر ولا سيما مع المعاصرين الذين اتسمت الصورة الشعرية عندهم بالغموض واختلاطها بالفلسفات . فقد أولع المعاصرون بها لانها تمثل " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة وتحدثوا عناه بإسهاب بعد أن كان بعض المتقدمين يعدها زينة وتزويفا لا عنصرا مهما من عناصر القصيدة.." [٣].

وتتضح الصورة عند الجرجاني منذ أوسط هذا القرن وتحديدا مع الدكتور عز الدين إسماعيل الذي يضع " الجرجاني" في مدرسة الفن للفن وهو يعلق انضمامه الى هذه المدرسة في ضوء فهمه للصورة قائلا " وبهذا يقدم الينا الجرجاني الفهم المعتدل لمذهب (الفن للفن) كما يتمثله براولي ، فلا يحدثنا عن الصورة الجميلة المنفصلة عن الروح بل الممتزجة بها"[٤]. وهذا الامتزاج يمثل الاتحاد بين اللفظ والمعنى، وهو ما يقابل الصورة او النظم فالألفاظ تعرف بالنظم مزيتها وليس بأمر

---

[1] المصدر نفسه، ٢٦٥

[2] أسرار البلاغة، ٥-٦ .

[3] في المصطلح النقدي، د.احمد مطلوب،٢٠٤

[4] الأسس الجمالية في النقد العربي، (عرض وتفسير وتوجيه) ،د.عز الدين اسماعيل، ٤٠٣

آخر، ويقول في هذا الدكتور احمد مطلوب "ان عبد القاهر في كل ما عرض ليس من أنصار الألفاظ... وليس من أنصار المعاني... وإنما هو من أنصار الصياغة من حيث دلاله هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية".[١].

ويلتفت الدكتور عز الدين إسماعيل الى ان اهتمام عبد القاهر الجرجاني بالنظم لم يكن من أجل النظم نفسه بل من أجل الإعجاز الذي يمثله النظم الصورة "لقد كان هدف عبد القاهر البرهنة على ان القرآن معجز بالنظم"[٢].

وكان من نتيجة هذا الاهتمام ولادة الصورة ، فالنظم جعله يهتم".. بالتصوير الادبي الذي لا يكون الا بترتيب الالفاظ والتأليف بينهما"[٣].

فهو يرى ان "للتصوير الادبي قيمة كبيرة ولذلك أطال الكلام في (أسرار البلاغة)، على الوسائل التي تجعل الصورة حسنة مقبولة، وفصل القول في نظرية النظم، وذهبت الى أبعد من هذا ورأى أن في الاستعارة مالا يمكن بيانه إلاّ بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته" [٤].

وهذا الذي أشار اليه الدكتور احمد مطلوب هو ما يلاحظ من تحليلات الجرجاني لاسيما في تحليله لأبيات

وَلمَّا قَضَينَا من منى كُلَّ حاجة [٥]   ومسّحَ بالأركان من هو ماسحُ

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب، ١١٥
[2] دلائل الاعجاز، ٢٦.
[3] مصطلحات بلاغية، ٢٥، د. احمد مطلوب، بغداد، ط١، ١٩٧٢م.
[4] المصدر نفسه، ٢٦
[5] دلائل الاعجاز، ١٢٠ – ١٢٢

إذن عبد القاهر من المؤمنين بان للصورة أثراً في إثارة المتلقي ولهذا وقف على المواصفات التي يريدها في الصورة والتي تكون حسنة مقبولة غاية منه في اهتمامه بالمتلقي ويكاد يتفق الدكتور كامل البصير مع الدكتور مطلوب بيد انه فصل المعاني والالفاظ عن الصورة في الشكل من خلال النص الذي يقول فيه" الاديب يقوم كليته على ثلاثة عناصر متحدة :عنصر الالفاظ وعنصر المعاني وعنصر الصورة"[١].

ويبدو ان كلام الدكتور يفصل الصورة عن الشكل والمعنى على الرغم من أنها تقوم من اتحادهما الامر الذي جعل الدكتور يعيد صياغة المفهوم. وهو في صدد مناقشة لإبداع الاديب ومحاكاته لنواحي الحياة:- "ومن هذا فان الخلق صور أقتبس الاديب عنصر الفاظها ومعانيها عن سبيل الحياة بماضيها وحاضرها ثم أعادهما في تلك الصورة مبتكرة مبتدعة"[٢].

ويواصل الدكتور البصير تجليات الصورة عند الجرجاني مذكرا ان ماهية الصورة عنده لا تغادر المفهوم العقلي قائلا " وأيا كان فالصورة عنده تمثيل وقياس تخلقه العقول من مواد ادخرت فيها وانتهت اليها مساحة من الوجود اذ كانت قد تحددت بالبصر في ذلك النص فانها تقف بنا في موازنة بين الصورة البصرية والصورة الادبية"[٣].

---

[1] بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق) د.كامل البصير ،٤٠، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م..

[2] المصدر نفسه، ٤١

[3] المصدر نفسه، ٤١،

وربما يتبادر الى الذهن ان عبد القاهر مال الى الجانب العقلي بعيدا عن التأثير النفسي للصورة وهذا ما يبدو من كلام الدكتور في حين ان عبد القاهر مال أشد الميل الى المتلقي فهو يعطي للمبدع نصائحه خدمة للقارئ ولا عجب لانه (المبدع) هو الذي يمنح النص دلاله التي يريدها المتلقي ومثال على هذا في فن التشبيه يضع عبد القاهر اللمسات الفنية التي تأخذ النص الى القلب دون أستئذان " وهكذا اذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدّ كانت الى النفوس أعجب وكانت النفوسُ لها أطرب ، وكان مكانها الى ان تحدث الاريحية أقرب، وذلك ان موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح ،والمتألّف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة ،أنك ترى بها الشيئين مثْلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقه الانسان وخلال الروض،..."[1]

ويرى الدكتور البصير أنّ مصطلح الصورة تميز عند الجرجاني بالاستقرار اذ تناوله على ثلاثة أركان[2] :أولها تناول في الصورة والتصوير في خضم البحث لبلاغي الذي توطدت خصائصه على يدي ابن المعتز نقدا وتطبيقا يعتمد على الشاهد العربي الاصيل وهو ما عبّر عنه الدكتور احمد مطلوب " وكان عبد القاهر الجرجاني ينظر الى الكلام من خلال النظم، والنظم عنده توخي معاني النحو ،وهو ماسمى بعد ذلك ،"علم المعاني" أحد فروع البلاغة الثلاثة[3].

---

[1] اسرار البلاغة، ١٣٠

[2] بناء الصورة الفنية في البيان العربي ،٤٢،

[3] ينظر، المصطلح النقدي،د. احمد مطلوب ،٧٧

وثانيا: ان الجرجاني هضم معاني الصورة لغة واصطلاحا من شتى مصادرها العربية وأخيراً أخذ يلتمس مصادر الصورة الادبية وطرائق إيمائها سواء أكان (الواقع او الخيال او التأمل) الطريق في انتاجها.

وفي الوقت الذي انتهى الدكتورالبصير من رؤية الجرجاني التي تبدو أقرب الى المتكاملة لجوانب الصورة أخذ الباحث الدكتور احمد الدحمان المسألة من باب آخر اختلف عن المعاصرين بعض الشيء فأشار الى دراسة الخيال عند الجرجاني وكيف ان للصورة اثراً في صناعته قائلا (أما عبد القاهر فقد كان موقفه من الصورة أساسا لمفهوم التصور عنده وهو منطلق من هذا من إيمانه بقيمة اللغة باعتبارها مادة الادب..) [١]

ليفصّل بعد ذلك هذا الدور وعلاقة كل هذا بعبد القاهر الجرجاني[٢]، مكررا ما قاله سابقوه وهو ان عبد القاهر الجرجاني يرفض ان يكون "من هؤلاء الذين هاجمهم وهو من أنصار المعنى الذي يهمل الصياغة وبالتالي ليس من أنصار الصياغة التي يتناسى فيها او المعنى الذي يدل عليه بهذه الصياغة، فالصياغة مرتبطة عنده بالصورة العامة للتجربة" [٣]، وهو الأمر الذي لا يخالفه الدكتور عثمان مواني أيضا... فالصورة على وفق الرؤية الجرجانية هي التي تصبر الفضة خاتما والشعر شعوا أو ربما تجعل من الشعر ليس شعراً بل نظماً فحسب كما يرى

---

[1] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، (فهما وتطبيقا) د.احمد علي الدحمان، ٣٨٧/١

[2] ينظر المصدر نفسه، ٣٨١/١ – ٤٠٥

[3] المصدر نفسه، ٣٨٩/١

الدهمان[1] ويتابع الدهمان تفصيل ما ذكره المعاصرون من موقف للصورة البلاغية وهو ان النظم او الصياغة ايضا يقف وراء انتاجها مبينا بتكرار ان نجاح هذه الصياغة عند الجرجاني تتوقف على الدرجة "الفنية للصورة وعلى مدى تفاوت هذه الصياغة"[2] .

وهذه الصياغة تسمح بالتفاوت بين نظم وآخر وهي تتوقف على مدى التلاؤم في اختيار المفردات وتوزيعها على الجملة "ووجدت المعول على ان ههنا نظما وترتيبا ،وتأليفا وتركيباً، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيراً، ... وانه كما يفضل هناك النظمُ النظمَ،والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ، ثم يعظم الفضل وتكر المزية حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة "[3]

هذا ولا تغادر الباحثة دلخوش المعاصرين وهي تؤكد في السياق نفسه ان النظام" اللغوي عند الجرجاني محاكاة للنظام الدلالي المستقر في الذهن الذي يحدد وظيفته في محاكاته نظام الاشياء في الطبيعة ويعبر الجرجاني عن هذا المصطلح " الصورة" التي عرفها بانها (تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بابصارنا""[4] .

---

[1] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، (فهما وتطبيقا) د.احمد علي الدحمان، ١/٣٩١

[2] المصدر نفسه، ١/٤١٥

[3] دلائل الاعجاز، ٨٠-٨١

[4] الثنائيات المتغايرة في كتاب (دلائل الاعجاز) لعبد القاهر الجرجاني _دراسة دلالية- ماجستير، دلخوش جار الله، ١٠.

ومن هنا كان النظام الذي يحاكيه عبد القاهر هو (النظم) الذي تستند مرجعيته الى العقيدة الاشعرية.

وكان من نتائج هذا الموقف انعكاس ذلك على الجانب اللغوي فقالوا: ان التلفظ (النطق) يعبر عما في الذهن من أفكار وهو المحور الذي أقام عبد القاهر نظريته عليه معطيا للمعنى أهمية قصوى كونه المولد للعملية الكلامية أساسا[1].

---

[1] ينظر :دلائل الاعجاز، ٩١-٩٢

المبحث الثالث: اللفظ والمعنى

كان لقضية (اللفظ والمعنى) أثر في النقد العربي. فالقضية ترجع جذورها الى الشعر وعلاقته بالخطابة التي بدأت مع الجاحظ، يقول الدكتور محمد زكي العشماوي" وكان من أخطر النتائج التي ترتبت على تأثر النقاد والبلغاء بكتاب البيان والتبيين ان ظلت نظرتهم للشعر لا تفترق كثيرا عن نظرتهم للخطابة.. والخطر راجع الى مثل هذا الاتجاه بانه سوف يؤدي بالضرورة الى طغيان النظرة المنطقية للغة فاذا نظروا للشعر نظروا فيه الى ما يتصل باللفظ دون المعنى"[١].

وهذه الاشارة لا تمنع من ان يكون للجاحظ موقف آخر يساوي بين اللفظ والمعنى من خلال الصياغة "وقد ظهر أن الرجلين " الجاحظ وعبد القاهر" ينحوان نحوا واحدا وانهما من أنصار النظم او الصياغة والتصوير"[٢].

والمعاصرون ولاسيما المتأخرون خاضوا في هذه القضية حتى فاض الكيل وبعد طور الدراسة عن الجانب العلمي ، فقد كرر واعيد شرحها شرحا طويلا فضلا عن بيان علاقة هذه القضية بعبد القاهر وأول إشارة نلحضها : وفي هذه العلاقة – هو ما ذهب اليه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بالبحث عن مرجعية البلاغة وهل هي عائدة الى اللفظ او الى المعنى وأجاب انه " يرى أن البلاغة والفصاحة يجب ان تكون سمة للمعنى لا للفظ وقد أفاض عبد القاهر في شرح ذلك"[٣].

---

[1] قضايا النقد العربي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي٢٤٦ ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

[2] عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب، ٢٧٦

[3] عبد القاهرو البلاغة العربية د.محمد عبد المنعم الخفاجي:١٢٢

ويبدو أنّ في الأمر نظراً لانّ عبد القاهر لا يمنع ان تكون هناك فصاحة في اللفظ بقول:" اعلم ان الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ وقسم يعزى ذلك فيه الى النظم"[1].

ولكن نظرته السائدة تبقى الى النظم معولا عليه في البلاغة والبيان والبراعة وليس اللفظ او المعنى ، يقول " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ،وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها.. فوجدت المعول على ان هاهنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا وصياغةوتطويرا، ونسجا وتحبيرا..." [2].

وهذا ما أكده الاستاذ بدوي طبانه –أول الامر– قائلا" وعنده من عبارات البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وغيرها من الفاظ التفضيل لامعنى لها ممايفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية دون المعنى فالكلمة المفردة لا قيمة لها قبل دخولها في التأليف"[3].

ثم عاد مناقضا كلامه هذا في ضوء موازنته بين كفتي الجاحظ وعبد القاهر قائلا" وكلما كان الجاحظ مغاليا في تقدير اللفظ كان عبد القاهر مغاليا في تقدير المعنى

---

[1] دلائل الاعجاز: ٣٨٩

[2] دلائل الاعجاز: ٨٠

[3] البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومنهاجها ومصادرها الكبرى،١٦٩، د.بدوي طبانة، مطبعة الرسالة، ط٣، ١٩٦٢م.

ومن هو الاديب الذي يبرد كلماته وينشر الفاظه كيف تجيء غير وكيف تتفق..." [١].

وفي هذا نظرلأن عبد القاهر عندما أشار مرارا الى ان المعول عليه هو المعنى لم يكن لينسى أثر اللفظ. [٢].

وفي هذا الوقت لم يشغل الدكتور عز الدين اسماعيل نفسه بقضية اللفظ والمعنى مباشرة بل اخذ يناقشها في ضوء مفهوم الصفة ، تلك الصفة التي تعود الى عملية تداخل تتحقق من عملية الصياغة لبلوغ الهدف الجمالي من النص:" ولذلك يربط عبد القاهر بين السطح الخارجي والدلالة النقل بين اللفظ والمعنى ولكنه يجعل السطح يتكيف بحسب تكيف الدلالة النفسية"[٣]. وهذا يكاد ينطبق مع مقولة عبد القاهر ".. وذلك قولهم انه يرتب المعاني في نفسه وينزلها ويبني بعضها على البعض،كما يقولون: يرتب الفروع على الأصول ويتبع المعنى"[٤].

كما انه يتفق مع قوله " وأمر النظم في أنها ليس شيئا غير توخي المعاني في النحو فيما بين الكلم وانك ترتب المعاني اولا في نفسك ثم تحذوعلى ترتيبها الالفاظ في نطقك..." [٥].

ويقترب الدكتور محمد غنيمي هلال من ذلك قائلا" فالالفاظ المجزي عن المزية الا في تأليف الكلام وتنظيم أجزاء الصورة الادبية، وجلاء الفكرة بوسائل الصياغة

---

[1] المصدر نفسه: ١٨٦

[2] ينظر: دلائل الاعجاز، ١٠٦

[3] الاسس الجمالية في النقد العربي: ١٦٨

[4] المصدر نفسه:١٠٤

[5] الاسس الجمالية في النقد العربي: ١٦٨

اللغوية. وهي مزايا ترجع جميعها –في رأي عبد القاهر– الى الصياغة . ودلالتها على الصور الادبية..." [1].

فنظرية عبد القاهر في النظم دالة على الاهتمام بالمعنى لأنها ماهي الا ردة فعل لمحاولة مقاومة التيار اللفظي الذي جعل من الاعجاز قرين الفصاحة ولذلك قال "... أفترى لشيء، من هذه الخصائص التي تملؤك بالاعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع ،وحروف تتوالي في النطق؟ ام كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الاتساق العجيب؟"[2].

وهذا ماقاله الدكتور احمد بدوي بان عبد القاهر " أطال في الرد على القائلين بان البلاغة تعود على الالفاظ في عرض شبهتهم ، ونقض هذه الشبه[3]." واكده الاستاذ طارق النعمان بقوله" فالالفاظ حاضرة وليست منفصلة عن المعاني"[4].

---

[1] النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ٢٧١،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٣م.

[2] دلائل الاعجاز: ٨٩-٩٠

[3] عبد القاهر جهوده في البلاغة العربية: احمد احمد بدوي:١١٠

[4] اللفظ والمعنى بين الايدلوجيا والتأسيس المعرفي للعلم.طارق النعمان ٣١١، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

اذن فما أصل البلاغة عنده – الجرجاني– يقول الدكتور " وانما تعود البلاغة عند عبد القاهر الى نظم الكلام، ولذا رأى ان بعد جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه واي شيء هو وبيان أمره"[١].

ونظرة عبد القاهر المزدرية للفظ ولدت عنده الرفض "لفصاحة الالفاظ المفردة كما ذهب كثير من البلاغيين والنقاد ومنهم معاصره ابن سنان لانها لاتكون في الكلم أفرادا وإنما ضم بعضها الى بعض.."[٢]

وهو ماكرره دائما :" فقد اتضح اذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة وان الالفاظ تَثْبُتُ لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"[٣]

وهذا ما دفع عبد القاهر كما يرى الدكتور مطلوب الى ان يجمع بين الفصاحة والبلاغة لتصبح عنده " بمعنى واحد لا يمكن ان نفصل بينها لان الأولى لا تكون في الألفاظ وإنما في المعاني ولذلك لا يقال في الكلمة المفردة إنها فصيحة قبل ان تضم الى غيرها من الكلمات مكونة جملا وعبارات لها دلالة واضحة"[٤] واعاد الدكتور توضيحه مرارا[٥].

---

[1] المصدر نفسه، ١١٠

[2] عبد القاهر الجرجاني،بلاغته ونقده،١٠١

[3] دلائل الاعجاز، ٩٠

[4] عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، ١٠٤

[5] ينظر:المصدر نفسه: ١٠٠-١٠١

ويناقش الدكتور عرفه قضية (اللفظ والمعنى) بعيداً عن الاهمية ومدى طبيعة تعامل الجرجاني بها ليبحث عن النظرة العقلية ولاسيما التحليل المنطقي الذي جعل الجرجاني ينشغل بفكرة انتقال المعنى من النفس(العقل) الى القول الذي يمثله (المعنى واللفظ) ومن هنا يكون المهم في العملية هذه هو المعنى الذي يكون العقل الرحم المناسب لنمائه، ولا عجب بعد هذا كما يرى الدكتور بان يجعل عبد القاهر " في أثناء حديثه عن النظم ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيها طريقة الفكر والنظر ورد شبهة خطرت في أذهان الناس أو من الممكن ان تخطر"[1] وعلى الرغم من اتفاق الدكتور حمادي صمود مع الاستاذ عرفه إلا ان الجانب العقلي لايعده الاساس بقدر ما يتمثل فيه المحرك الادبي فتحليلاته ذات نزعة أدبية[2].

تعتمد على المعنى ولكن المعنى الذي يعيد انتاجه النظم "وتتوضح فكرته في المعنى الذي هو ليس محصولا فكريا او عقليا او حكمة... وانما هو ماتولد من ارتباط الكلام بعضه ببعض وما ينتج عنه من صور." [3]

---

[1] تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، د.عبد العزيز عبد المعطي، عرفة ،٢٨٠، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

[2] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب:٤٧٦

[3] عبد القاهر ونقد النص الشعري، د.احمد مطلوب، ٧٩، مجلة المجمع العلمي العراقي،ج١، مجلد ٤٣- ١٩٩٦

وأشار الجرجاني الى هذا قائلا:" وجملة الامر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة موفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنا توجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها.." [1]

فهل من مزية في العقل اذا لم يفصح عنها اللسان ؟ وهذا الافصاح هو ما يعبر عنه النظم الذي تأتي الفصاحة في الفاظه من خلاله كما يرى الجرجاني وما سبق قوله لا يعني رفض عقلانية عبد القاهر ولكن في الوقت نفسه لا يمكن عدها الوحيدة الموجهة أدبيا لتحليلاته .

فعبد القاهر عندما يعلل ليس بعقله فحسب بل يتحسس ذلك بالقلب ثم تتكاتف العاطفة مع العقل ليكون التحليل أدبيا مداعبا احساس القارئ "..ولكن ثمة ما يحرك الالفاظ فتصبح نظما والذي ليس هو (التفكير) (الفكر) في الالفاظ ومدلولاتها فحسب. ولكن مايلتبس به هذا التفكير هو ذلك الغامض الذي هو محرك للتفكير ولفعاليته الماثلة في النظم ومن ثمة للالفاظ انه هذا الذي ليس معروفا بعد ويحوله النظم من لا معروف الى معروف انه هاجس المعنى.." [2]

والنظم بعد هذا عائد الى المبدع في (اختياره وتوزيعه) للمفردات وهي مهمة تتوقف على امتلاك المتكلم قدرة التأثير على المتلقي ونقل الشعور بعد ان يكون قد امتلأ في هضم هذه المعاني ،وهذا ما يطلق عليه بلغة اليوم (الاسلوبية العاطفية)

---

[1] دلائل الاعجاز :٣٦٧

[2] اللفظ والمعنى بين الايدلوجيا والتأسيس المعرفي للعلم، ، ٢٩٨

وفي اطار الحداثة ولد لدى الدكتور عبد الكريم مجاهد شعورا يقارب بين عبد القاهر وكولردج ، قريبا من زاوية " اللفظ والمعنى" وقريبا مما قلناه سابقا " فالعلاقة بين اللفظ والمعنى حية وثيقة ناهية بحيث انها توحد بينها وهكذا يقضي كولردج على الثنائية كما قضى عليه من قبل عبد القاهر برفضهما النظر الى الالفاظ مفرده بل ينظر اليها في نظام من العلاقات الحية سماها عبد القاهر النظم وأطلق كولردج عليها (الشكل الباطني العضوي) [١] وهذا العمل (توحيد اللفظ والمعنى) جعل الدكتور يثني على النظم ممثلا بشخص عبد القاهر قائلا:" وهكذا استطاع ان يضع رؤية جمالية ناجحة بقضائه على اللفظ والمعنى"[٢].

ان عمل المعاصرين الذي سبق عرضه يكاد يتفق أحيانا او يضطرب بعض الشيء او يبلغ درجة عالية من الدقة والفهم ولكن بأية حال من الاحوال لا يصل كما هو الامر عند الدكتور عبد الله الغذامي الذي حاول اسقاط المفاهيم الغريبة على عبد القاهر ولاسيما قضية (اللفظ والمعنى) وربما هذا جعله يبدو مضطربا في عمله. ومغامرا، فمرة يعد عبد القاهر نصوصيا بعيداً عن العمودية وآخرى يجعله تفكيكيا وهذه النظرة دفعت الدكتور الغذامي الى القول بان الجرجاني من أصحاب المعاني وأنه " يقع أسيرا للمعنى في معظم اطروحته وبالاخص نظريته في النظم.." [٣]

---

[1] اللفظ والمعنى عند النقاد والبلاغيين:٣٢ مجلة الاقلام ع/لسنة ١٦ –١٩٨١

[2] المصدر نفسه: ٣١ ينظر

[3] المشاكلة والاختلاف: عبد الله الغذامي: ٤١

ومتى كان النظم اهتماما بالمعنى دون اللفظ؟ وهل يمكن للنظم ان يولد ويوجد دون النطق به واختيار سلامة الفاظه وملاءمتها؟

يجيب عبد القاهر مناقضا ما قاله الدكتور الغذامي " .. ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ، ثم النطق بالالفاظ على حذوها لكان ينبغي ان لا يختلف حال أثنين في العلم..." [1]

ومن هنا كان التكاتف بين المعنى واللفظ هو الذي يضع النظم وليس المعنى فقط كما يرى الدكتور . واذا كان ظاهر النص قاد الى الاهتمام بالمعنى دون اللفظ فهذا وهم ونظرة لها ظرف تاريخي لأن عبد القاهر صحح هذا للقارئ قائلا: (واعلم انا لا نأبى ان تكون مذاقه الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وان تكون مما يؤكد أمر الإعجاز وإنما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب اليه ان يجعله معجزا به وحده ويجعله الاصل والعمدة فيخرج الى ما ذكرنا من الشناعات"[2].

اذن عبد القاهر لم يسيطر عليه المعنى ولم يكن أسيرا له الا رغبة منه في الدفاع عن الاعجاز ولاسيما أولئك الذين جعلوه قرين الفصاحة[3]، وقياسا على هذ لا نتفق مع رأي الدكتور الغذامي الذي نسب فيه الاضطراب الى عبد القاهر"...وقضينا هنا ليست عما لدى الجرجاني من اضطراب نظري ولكنها حول تحول المنظور

---

[1] دلائل الاعجاز: ٩٤

[2] دلائل الاعجاز: ٤٥٥

[3] ينظر المصدر نفسه: ٩٣

النقدي – عالميا– من التفكير في النص على انه في المعنى الى كون النص صانعا ومنتجا لما يسمى قديما بالمعنى ويسمى الان بالدلالة..."[1] ولا يعقل ان الدكتور الغذامي وقف صارخا في وجه المعاصرين رادا عليهم رؤاهم مدعيا هذا التناقض في رؤية الجرجاني، في الوقت الذي يقف الدهمان كما وقف المعاصرون سابقا متفقا معهم ورافضا دون أشارة صريحة الى ما يقوله الدكتور الغذامي من خلال بيان أثر الجرجاني في نظريته (النظم) قائلا:" إن نظرية النظم كان لها الفضل في القضاء على ثنائية اللفظ والمعنى"[2]

بل أشار الدهمان الى الوسائل العلمية التي قدمها تطبيقا لتنظيراته [3].. أيعقل بعد هذا كله ان يأتي الدكتور الغذامي ليضفي لباسا غريبا على الجرجاني ثم يحاسبه لانه ليس على المقاس المطلوب ثم ينادي الدكتور باختلاف القراءات ليكون النص مبدعا، مستفهما بحرقة انه " هل يعقل عقليا ان يحدث تطابق ما بين اللفظ والمعنى"[4].

نعم انه يمكن ذلك ،يمكن عندما تكون الصورة هي الغاية، ليس اللفظ جسدا او المعنى روحا بل ان السمة المتوخاة أعلى وقد تحققت هذه السمة عند عبد القاهر وأشار الدكتور احمد مطلوب اليها قائلا: (ان عبد القاهر في كل ما عرض ليس من أنصار الالفاظ من حيث هي كلم مفردة ، وليس من أنصار المعاني بغض

---

[1] المشاكلة والاختلاف، عبد الله الغذامي، ٤١

[2] الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ٢٢٠/١

[3] ينظر: المصدر نفسه، ٢٢٠/١ وما بعدها

[4] المشاكلة والاختلاف، ٤٥

النظر عن تجانس الالفاظ وتلاحمها، وانما هو من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الادبية..." [1]

فالصورة هي شغل عبد القاهر الشاغل في تحليلاته ، فلم يهتم بالاستعارة او التشبيه في البيت، بقدر ما كان يبحث عن مدى التأثير الجمالي للاستعارة أثر النحو في خلق هذا التأثير. وتتضح هذه الصورة في أثناء تحليله قول الشاعر:

سالت عليه شعابُ الحيّ حين دعا
أنصارَه بوجُوه كالدنانير [2]

قائلا:"فإنك ترى هذه الاستعارة ، على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن، وانتهى الى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملُحت ولطفت بمعاونة ذلك وموازرته لها. وان شككت فأعمد الى الجارّين والظرف، فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقل (سالت شعاب الحي برجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره" ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ، وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها"[3].

---

[1] عبد القاهر بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب، ١١٥

[2] ورد هذا البيت من ابيات سبعة للشاعر سبع بن الخطيب في " المؤتلف والمختلف" للامدي، ١٥٩-١٦٠

[3] دلائل الاعجاز: ١٣١

إنّ عبد القاهر في نظريته وضع الحل الذي انتظره الكثير لقضية اللفظ والمعنى وأصبح الاهتمام لا يخص طرفا دون آخر بل ان النظرية أمتدت لتشمل جميع اطراف العملية النقدية (المبدع والنص والمتلقي) [1].

المبحث الرابع

التخييل والتصوير

يرتبط مصطلح التخييل أو التصوير بالمبدع ومدى ثقافته في اختيار المادة وتوزيعها فهو القادر على منح هذه الفنون التأثير المطلوب على المتلقي ومن هنا كان أهتمام عبد القاهر بالتخييل أهتماما بالمبدع بعده المؤدي للابداع والقادر على استيعاب الفنون واعادة انتاجها الى الحياة بالتأثير والجمالية .ويشكل التخييل – عند الجرجاني– فنا".. مفتنٌّ المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يحصر الا تقريباً ، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا..." [2] وهذا ما يترجمه قول الدكتور جابر عصفور بانه يتمثل في " بلاغة التشبيه والاستعارة والتمثيل عند عبد القاهر بقدرتها على التصوير والتجسيم والتقديم الحسي للمعنى.." [3]

ويذهب الدكتور ماهر مهدي هلال الى أنّ التخييل كان نقطة بدء في التأويل الذي وقع في شراكه البلاغيون لمعالجة المشاهد تأويلا من خلال العقل وبهذا فالتصوير

---

[1] ينظر: المرايا المقعرة، د. عبد العزيز حمودة، ٢٧٧.

[2] اسرار البلاغة: ١٥٠

[3] ينظر :الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي، د.جابر عصفور، ٢٧٩

/ التخييل يعد " مفتاح الشبه الفلسفي الذي ادخله البلاغيون لتأويل جدلية الحسن والعقل بين طرفي التشبيه، ونزوح الشعراء الى قلب الموازنة البلاغية في عقد تنظيراتهم الوصفية على حسية المشبه به بوصفه الاخص في الصفة المشتركة مع المشبه لتشكيل الصورة"[1]

من الباحثين من أخذ يعالج المصطلح عند عبد القاهر في ظرفه التاريخي متطرقا الى مفهومين في التراث العربي[2].

الاول: يسير في تأثير كبير لقوي الإدراك النفسي عند أرسطو وهؤلاء هم الفلاسفة ومن تأثر بهم من النقاد كما هو عند الفارابي وابن سينا وابن رشد والقرطاجني

في حين يسير الاتجاه الثاني: الى دراسة عربية خالصة ممثلة بعبد القاهر الا انه يتفق في المفهوم الرئيس للتخييل. وبعيدا عن المفهوم العام للتخييل يذهب الدكتور جابر عصفور الى خصوصية فهم الجرجاني لهذا المصطلح الذي يتجلى في البيان- لان عبد القاهر عنده الصورة البيانية مرتكزة على التخييل[3]، ليرى انه كان أميل " الى ان يعد القسم الذي يؤخذ منه من الاشياء المحسوسة المشاهدة والمدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة، بمثابة الاصل وماعاداه الفروع.." [4]

---

[1] التخييل والتصوير بين عبد القاهر والفلاسفة النقاد: ١٨١، مجلة الاداب – بغداد –كلية الاداب

[2] ينظر: الصورة التخيليية في التراث البلاغي والنقدي، دكتوراه، نهلة نبيان،٦٥

[3] ينظر، التخييل والتصوير بين عبد القاهر والفلاسفة النقاد، ١٨٩ مجلة الاداب، بغداد، كلية الاداب، ع ١٩٩٦/٤١

[4] الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي،د.جابر عصفور، ٢٨٠

وهو ماقصده الدكتور ماهر في ضوء كلامه عن المصطلح وهو ان " المحسوس يكون أصلا للمعقول وان عكس المعادلة يجعل به معقولا والمشبه محسوسا (يكون جعلا للفرع أصلا والاصل فرعا) وهو غير جائز..[١]

هذا يتفق وقول عبد القاهر (بيان ذلك أنهم يستعيرون الصَّفة" المحسوسة" من صفات الاشخاص للاوصاف المعقولة...)[٢]، والمتتبع لامثلة الجرجاني يجد أنّ للتخييل أثرا مهما في البيان[٣]، بل إنّ الجرجاني صرح بهذا الاثر – في معرض كلامه على الشبه –قائلا: "وينبغي ان تعلم ان باب التشبيهات قد حظي من هذه الطريقة بضرب من السّحر،لاتأتي الصفة على غرابته ، ولا يبلغ البيان كُنه ما ناله من اللّطف والظرف) [٤]

يقول الدكتور الدهمان متهكما على بعض أمثلة الجرجاني (وينظر عبد القاهر الى التخييل على انه نوع من القياس المخادع أراد الشاعر ان يحسن المشيب فشبهه ببياض البازي فهو يجري قياسا كاذبا لان العلة التي من أجلها يستحسن البازي هي البياض...) [٥]

يقول في موضع آخر (وهكذا تصبح الاستعارة –وهي صورة بلاغية في حكم المعاني التخيليه) [٦]

---

[1] التخييل والتصوير بين عبد القاهر الجرجاني والفلاسفة النقاد، ١٨١

[2] اسرار البلاغة: ٣٠٢

[3] المصدر نفسه ،١٥٥ ، ١٥٦، ١٩٣.

[4] اسرار البلاغة ،٢٨٤

[5] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجا وتطبيقا)، ٦٠٨/٢

[6] المصدر نفسه

ويزيد الدكتور الدهمان انه قد يتبادر الى الذهن أول وهلة أن هناك ((تذبذبا في موقفه من التخييل، عندما يراد بالمعنى المنطقي والقصد الفني منه، فهو ينظر الى التخييل على انه نوع من القياس المخادع ومن الناحية الفنية نظر إليه على انه (محاكاة) تميل اليها النفوس ميلا طبيعيا لانه يخادع النفس ويريها ما لا يرى باحتجاج وهمي فيه تصنع وتعمل ويظهر موقفه هذا عندما يعالج الاستعارة هل هي عن التخييل مع انها كثيرة في القرآن الكريم..) [١]

وكلام الدكتور الدهمان يجد صداه في قول عبد القاهر الصريح(.. وكيف يعرض الشكلُّ في ان لا مدخل للاستعارة في هذا الفن، وهي كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى...) [٢]

ليعود ويبين ان التخييل ((مايثبت فيه الشاعر أمرا هوغير ثابت أصلا، ويدَّعي دعوى لا طريق الى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى.)[٣]

والاستعارة على خلاف هذا ... [٤]

فكيف عالج الجرجاني هذه المسألة؟

يقول الدكتور الدهمان ان عبد القاهر (سرعان ما يتناسى هذا الفرق المصطنع الذي أوحى بهذا التذبذب ومن ثم يدخل الاستعارة والتشبيه ضمن التخييل ويعالجها في ضوء فكرته (الادعاء والمبالغة) على انها معان وصورة تخيلييه وبذلك لا نجد

---

[1] المصدر السابق ٢/٦١١

[2] اسرار البلاغة، ٢٧٣/ ٢٧٤

[3] أسرار البلاغة: ٢٧٥

[4] المصدر نفسه:٢٧٥

تذبذبا فخداع العقل من الفن الأصيل والمحاكاة التي تميل النفوس إليها ميلا طبيعيا من الفن ايضا او يمكن ان تكون ومن ثم فلا تعارض ولا تذبذب اذا فهمنا موقفه هذا في ضوء نظريته العامة في الصياغة ومن خلال المنهج اللغوي..) [1]

اذن عبد القاهر يتناسى الفارق الوهمي من خلال التخييل ان لا يكون مفهومه من باب الكذب وليس من باب التوهم لان التخييل لا ينفي حقيقة الشيء من الوجود وما يحاول اعادة انتاجه بمخيلة الفنان ليكون اكثر تأثيرا وجمالية مما هو مألوف ومتعارف عليه في الواقع وهو ما يقترب من قول الجرجاني: (فالذي بدأتُ به من دعوى أصل وعلّة "في حُكم من الاحكام هما كذلك ماتركت المضايقة وأخذ بالمسامحة ونظرا الى الظاهر ولم ينقر عن السرائر، وهو النمط، العدل والنمرقة الوسطى وهو شيء تراه كثيرا بالآداب والحكم البريئة من الكذب..) [2] وهذا ما يقترب ومفهوم الباحثة نهلة من ان للجرجاني اتجاهين:

الاول: تأليف جديد (ابتكاري) لأشياء معروفة في الواقع الخارجي يتخطى الشاعر فيها النظر الى علاقات العالم الخارجي بعين محايدة

والثاني: تجاوز الواقع الخارجي المحدود والنفاذ الى ماروراء هذا العالم من عوالم خفية تكمن فيها الحقائق الكبيرة.. فالشاعر بدأ عمله من الواقع فهو لا يغادره وانما يعيد بناءه على وفق مخيلته.

هذه المخيلة التي تتبنى مأشار اليه الجرجاني من أئتلاف المختلفات والجمع بين المتنافرات في تأليف جديد أبتكاري

---

[1] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجا وتطبيقا) ، ٢/٦١٠

[2] اسرار البلاغة: ٢٧٦

في حين يأخذ الاتجاه الثاني: ان الجرجاني في رؤيته للتخييل يضع اللمسات التي تقرب النص من المتلقي.

وبناء على هذا يكون التخييل في نظر الجرجاني – مذموما اذا ما تجاوز الحدود من دون ان يجد المتلقي طريقا الى النص فالشاعر كما يرى عبد القاهر يجب ان ((تسلم مقدمته التي اعتمدها بينة، كتسليمنا أنّ عائب الشيب لم ينكر منه إلاّ لونه وتناسينا سائر المعاني التي لها كره ومن أجلها عيب..)) [1]

وتلفت الباحثة بنيان النظر الى العلاقة التي جمعت بين التأويل والتخييل فالنص الحديث لا يبتعد عن الحقيقة عندما يشير الى ان النص التخيلي (نص مجازي تأويلي وهذه الطاقة من الايحاء التي يمتلكها المجاز هي التي تشكل الفسحة التي تقوم بها اللغة الشعرية والادبية عامة) [2] ومؤكدة في الوقت نفسه ان عبد القاهر ينظر الى الزاوية نفسها – علاقة التأويل بالتخييل – في ضوء نظرته الى المعقول والا معقول) فهو يرى ان تحليل النص يخضع الى تحليل نسبته الى الواقع والحقيقة (المعقول) فاذا لم يستدع التأول فهو حقيقي (عقلي) [3]

في ضوء ما مضى يمكن القول ان للتأويل الاثر المهم الذي يتداخل عند الجرجاني مع التخييل بل ان التخييل هو التأويل عنده (ومما يشبه هذا الفنَّ (التخييل) الذي هو تأوّل في الصفة فقط..) [4]

---

[1] اسرار البلاغة: ٢٧٠

[2] الصورة التخيليية في التراث البلاغي والنقدي ، دكتوراه، نهلة بنيان، ٧٣- ٧٤

[3] ينظر: اسرار البلاغة: ١٥٢

[4] المصدر نفسه: ٢٨٢

اذن التخييل عند الجرجاني صورة يكاد يكون الاتفاق عليها بين المعاصرين وهي انه يستعمل مصطلح التخييل بين الفنون التصويرية ويؤكد أثره في هذه الفنون وما ورد من تذبذب كان نتيجة اخضاع الصورة الجديدة الى مثيلتها في الواقع وبمجرد التنبيه على أن الصورة بعد التخييل لا يمكن ان نجدها لان الشاعر قد زاد عليها ماليس فيها فيما لو قورن بالواقع ،يمكن ان يزول هذا التذ

المبحث الخامس

الذوق وتحليل النصوص

يعد التحليل المرحلة الأهم في العمل النقدي فمن خلاله يتضح مدى التطابق الحقيقي بين ما يقوله الناقد نظريا وتحقيق ذلك في الواقع وهو في الوقت نفسه يحتاج من الناقد ان يكون ذا ثقافة واسعة وخبرة في التحليل من خلال امتلاك ادواته من بلاغة ونحو وصرف... علاوة على ذلك يقف الذوق والرؤية التي يتأتى من الممارسة والثقافة لتدلي في وضع اللمسات الفنية التي قد تفوت على هذا او ذاك.

وتأسيسا على هذا كان الاشتراك كل ذلك عند عبد القاهر أولا ولذوقه الفطري والمكتسب في آن واحد ثانيا، محفز لقارئ المعاصر في ان يناقش هذا الجانب المهم عنده مما دعا بعضهم الى ان يقول: (ولعل من الصواب أن يقال إن عبد القاهر الجرجاني وواضع أسس المنهج التحليل في دراسة البيان او المعاني العقلية، ومسايرة العبارات ودلالتها، ولعل هذا القول اكثر صدقا واكثر تقريرا للواقع من القول بان عبد القاهر واضع أساس علم البيان وواضع أساس علم المعاني..

وقد رأينا ان عبد القاهر ... لم يتخل عن الذوق الادبي الذي يسير بالقارئ نحو تلمس صفات الجمال في العمل الادبي) [١] وتابعه في ذلك المتأخرون[٢].

وما استنبطه الدكتور بدوي من تحليلات الجرجاني وآرائه يعد غاية في الدقة، اذ انه أشار الى اهمية الذوق وأثره في الأخذ القارئ للوصول الى جمال النص، فعبد القاهر كان – غالبا– مايسدي النصيحة للقارئ من مثل(واذا قد عرفت ذلك فاعمد الى ماتواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من اجل النظم خصوصا دون غيره، مما يستحسن له الشعر او غير الشعر، من معنى لطيف آو حمكة أو أدب أو أستعارة أو تجنيس او غير ذلك مما لايدخل في النظم وتأمل[٣] وهذا ما قاله الدكتور احمد مندور: اذ بدأ كلامه على الذوق عند الجرجاني قائلا:" (ومن البين ان الذوق هو الفصل الاخير تنبه اليه كثير في الحكم على هذه الدقائق والى هذا ظن الجرجاني بحسه الادبي الصادق..) [٤]

سائلا عن المكان الذي يتواجد فيه؟ حاسما الموقف لصالح حرية المبدع التي تتكاتف مع الذوق فيكون التعبير سليما جديدا فالذوق (لايكون الا حيث تسلم للكاتب بحرية في اختيار طرق العبارة عما يريد وعبد القاهر نفسه لا يرى هناك اختيارا ما وعنده ان المعنى لا بد متحكم في اللفظ) [٥]

---

[1] البيان العربي، بدوي طبانة، ١٧٧

[2] رأي في التفكير المنهجي عند عبد القاهر الجرجاني، د.احمد حمدي الخولي، ٣٨ مجلة الدارة، ع٤، لسنة ١٩٨٣/٨

[3] دلائل الاعجاز: ١٢٩

[4] في الميزان الجديد، د.احمد مندور، ١٩٧

[5] ينظر: أسرار البلاغة، ٥-٢٠

وهذا مع المبدع وهو لا يختلف عن عمل المحلل، الذي يحتاج الى قدر من الحرية كي يطلق العنان لمخيلته تأملا في النص والوقوف على العلل التي جعلته يختار هذا اللفظ دون غيره من الالفاظ ولماذا اختار لها مكانا هنا دون باقي أفق الجملة ولا مبالغة حين يقال ان تحليلات الجرجاني معتمدة على هذه الطريقة.

ومن هنا كان الناقد العربي لاسيما عبد القاهر الجرجاني مؤمنا بان للجمال سببا (يدفع الناقد الى البحث عن هذا السبب الذي يهتدي اليه ولذا كان من الافة الزعم بانه لاسبيل الى معرفة العلة، فيما به كان الكلام الجميل جميلا..) [١]

وينطلق الدكتور احمد مطلوب متفقا مع سابقه وهو ان عبد القاهر يعد الذوق المعيار الاهم في تحليل النصوص بل هو يذهب ابعد من ذلك يعد الذوق معيارا للنقد يقول (ولم تكن عناية عبد القاهر بالقواعد والاصول وحدها دائما أتخذ من الذوق مقياسا مهما فهو حينما يعلق على النصوص او يحللها يركن إليه في ادراك البلاغة والوقوف على اسرار الجمال بل يكرر دائما ان من لاذوق له لن يدرك الاسرار وذلك الجمال..) [٢]

وهو ما يبدو من عمل الجرجاني ولاسيما وهو يدافع عن الشعر [٣] لانه الاساس الذي ينبغي على الذوق، وهذا ينسحب على مؤلفات الجرجاني التي تعلق بالادب والنقد والبلاغة، ومن تلك المؤلفات اختياراته التي يقول عنها الدكتور احمد مطلوب(... واهتم بالامثلة والاثار والموازنة بينها وتحليلها تحليلا يعتمد على

---

[1] عبد القاهر الجرجاني وجهوده البلاغة العربية،د.احمد احمد بدوي، ٢٠٥

[2] عبد القاهر بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب، ٢٠٥

[3] ينظر: دلائل الاعجاز، ٩٧-١٣٢

الذوق والاسس النقدية والبلاغية التي التزم بها...)[1] وهذا ما لايخالفه الباحث عايش[2] ويختم الدكتور رؤيته قائلا:" لقد أنطلق عبد القاهر في نقد النص من نظرية النظم والذوق والاحساس الورحاني وكان منهجه منهجا لغويا تحليليا ينبع من داخل النص لامن خارجه.."[3] وتابعه الاخرون.

وربما أن الرؤية المعاصرة – المتمثلة في البحث عن علاقة الذوق بالتحليل لدى الناقد، لم تلفت نظر الدكتور كامل البصير، فاخذ يفتش عن مصطلحات بلاغية ونقدية تتفق وتوجهاته في دراسة الصورة. ليتوصل بعد طول عرض وتفصيل الى ان الجرجاني يستعمل " مصطلحات بلاغية ونقدية غزيرة في تحليل النص الادبي وتلمس تأثيره في النفس على هدى أقربها الى بحثنا هو مصطلح التمثيل الذي يحرره في تحليله شواهده)[4] وعلى الرغم من أنّ الدكتور ما يعذره كون دراسته في الصورة . ولكن هذا لا يمنع من ان يعرج على العلاقة التي تجمع بين الصورة ومدى تدخل الذوق في صناعتها وهي مسألة تعود على الرؤية الخاصة للشاعر وذوقه في اقتباس المفردات المناسبة للتأثير على المتلقي واذا كان الباحث المعاصر في ضوء ما مضى لم يصرح بالنظم وأثره في صناعة الذوق من خلال الاختيار والتوزيع كما أشرنا فان الدكتور عبد القادر حسين اكثر صراحة في بيان

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب،٢٢٧-٢٢٨

[2] ينظر :مختارات عبد القاهر الجرجاني

[3] عبد القاهر الجرجاني ونقد النص الشعري، د.احمد مطلوب، ٩٦، مجلة العلمي،ج٢ مجلة ٤٣، ١٩٩٦

[4] بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د.كامل حسن البصير،٣٨

هذا الاثر فعبد القاهر جعل من النظم (قواعد تهدي الذوق العربي في الكشف عن درجة الكلام...)[1] ولذلك أسدى الدكتور الفضل -بعد الله- لعبد القاهر الجرجاني في دفع عملية النقد العربي الى الأمام مؤسسا بذلك نظرية عربية مازال العالم عربيا وغربيا مدينا لها[2].

ولا يخالف الدكتور عبد العزيزعبد المعطي سابقية في ما جاء في كتابه المطول في الذوق البلاغي عند عبد القاهر الذي أدخل فيه الباحث كل ما عند عبد القاهر من بلاغة ونقد ولفظ ومعنى، فدراسته ماهي الا في اطار تكرار وتداخل لما قاله عبد القاهر أولا وما قاله المعاصرون من سابقي الدكتور ثانيا.. وخلاصة لرؤيته يمكن القول انه يعد الذوق عند الجرجاني قائما على دعامتين أساسيتين:

الاولى: احساسه الفني المرهف والنفس الروحانية الخالصة وهو ما أشار اليه الدكتور احمد مطلوب[3]

والثانية: المعرفة الواسعة التي تتأتى نتيجة الخبرة والثقافة في قراءة نتاجات السابقين، فليس النظم من محض اختراع الجرجاني ولكن بعد ان هظم الفكر الأشعري ثم المعتزلي الذي قاومه أشد مقاومة ولدّ ذلك لديه نظرية النظم

---

[1] اثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، ٣٩٥، مطبعة النهضة، القاهرة، مصر، ١٩٧٥.

[2] ينظر: اثر النحاة في البحث البلاغي، ٣٩٥-٣٩٧

[3] عبد القاهر ونقد النص الشعري ٩٦ مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، مجلة ٤٣، ١٩٩٦

(... وقد استطاع بهذه النظرية الدقيقة ان يشرح فكرة النظم التي كانت سائدة في بيئات المعتزلة والاشاعرة حينما تعرضوا لإعجاز كتاب الله...) [1]

ومن المناسب الاشارة الى ان عبد القاهر استطاع في ضوء الولوج الى عمق النص ان يصل الى الاسرار واللطائف وكان هذا السبب الأول (يأتي الذوق مرادفا ومساعدا له في تحقيق هذه الغاية ان عبد القاهر بالنص، ودراسته له في ذاته جعله يفطن الى دقائق عملية الخلق والتذوق الفنين ومكنه من توضيح مفهوم الاصالة الفنية على حقيقتها التي تتجلى في براعة الشاعر في جمال أخراجه الفني...) [2]

ونتيجة لهذا الموقف كان الجرجاني اكثر النقاد تأنيا في التعامل مع مصطلحات السرقة، اذ انعكس ذوقه في هذا التعامل (واصبحت دراسة الجرجاني للسرقات دراسة نقدية فنية لا مجرد ظن واتهام مما يؤكد نظرته الى هذه القضية كانت نظرة متفحصة واعية لابعاد العملية الشعرية كلها..) [3]

وفي هذا السياق يقول عبد القاهر (وقد اتفق للمتأخرين من المحدثين في هذا الفن نكت ولطائف، وبدع وظرائف، لا يستكثر لها الكثير من الثناء، ولا يضيق مكانها من الفضل عن سعة والإطراء...) [4] والنظرة العامة للمصطلح تتفق بان

---

[1] عبد القاهر بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب

[2] مختارات عبد القاهر الجرجاني ٢٦ .

[3] مختارات عبد القاهر الجرجاني، ٢٦ .

[4] اسرار البلاغة، ٢٨٦

للذوق أثرا مهما في التحليل ولكن هذا الاثر معلق على مدى امتلاك المبدع لمعجم الحياة وتوظيف هذا التعامل في ضوء الاختيار.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة التي أجريتها في خمسة مباحث والتي حاولت جاهداً ان تكون ذات فائدة لكل مُحب ودارس لدرس النقد الادبي (القديم والحديث) أركن الى خاتمة أسجل فيها أهم النتائج والملاحظات التي أودعتها في هذا البحث وأميل الى تلخيصها في هذه الخاتمة، وهي:-

- أن عبد القاهر الجرجاني رأى أن الالفاظ بمجرد دخولها الشعر تكون بعيدة عن كونها صدقا أو كذبا وبمجرد دخولها التخييل المتأني عن طريق الاشياء لم تقد الاشياء هذه نفسها لأن الشاعر يعيد انتاجها من جديد.
- ومن ينتقل الى المبحث الثاني يجد أن عبد القاهر الجرجاني أعطى للمعنى أهمية قصوى كونه المولد للعملية الكلامية أساساً إلا أن المعنى لم يسيطر عليه ولم يكن أسيراً له.
- ان الذوق عند عبد القاهر الجرجاني يقوم على دعامتين إحدهما إحساسه الفني المرهف والنفس الروحانية الخالصة والآخرى المعرفة الواسعة التي جاءت من خلال خبرته وثقافته في قراءة نتاجات السابقتين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الامين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين .

المصادر:

١- اثر النحاة في البحث البلاغي، د.عبد القادر حسن، مطبعة النهضة، مصر ، القاهرة، ١٩٧٥.
٢- اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ،دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٣- الاعلام قاموس تراجم ، تأليف خير الدين الزركاني.
٤- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: الوزير جمال الدين ابي الحسن علي القفطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة دار الكتب المصرية.
٦- بناء الصورة الفنية في البيان العربي لموازنة وتطبيق، د.كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي(مطبوعات المجمع العلمي العراقي) ،بغداد، العراق، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٧- البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، د.بدوي طبانه، مطبعة الرسالة،ط٣،١٩٦٢م.
٨- تاريخ النقد الادبي عند العرب، د.إحسان عباس، دار الثقافة ،بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٩- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، د.عبد العزيز عبد المعطي عرفه، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.
١٠-دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، شكله وشرح غامضه، د.ياسين الايوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١١-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

١٢-عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د.احمد مطلوب، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

١٣-عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الهرم الحسيني، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

١٤-فحولة الشعراء، أبو سعيد الاصمعي، (ت ٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ،ط١ ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٥-فوات الوفيات ،محمد شاكر الكتبي(ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، بيروت ،لبنان.

١٦-قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث، د.محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

١٧-كتاب الصناعتين، ابو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية ،بيروت، ١٩٨٦م.

١٨-اللفظ والمعنى بين الايدلوجيا والتأسيس المعرفي للعلم، طارق النعمان، الفجر للطباعة، والنشر ، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

١٩-اللفظ والمعنى عند النقاد والبلاغيين ، عبد الكريم مجاهد، الاقلام ، وزارة الثاقفة والاعلام، ع٩، السنة ١٦، ايلول ١٩٨١م.

٢٠-مختارات عبد القاهر الجرجاني دراسة نقدية في ضوء فكره النقدي، عايش محمود سليم المايس، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، دائرة اللغة العربية، ١٩٨٥م.

٢١-مرآة الجنان وعيرة اليقضان في معرفة مايقصر من حوادث الزمان ، تأليف الامام ابو محمد عبد الله اليمني المكي (ت٨٦٧هـ)، بيروت، لبنان،

٢٢-المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، د.عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت.

٢٣-المشاكلة والاختلاف ، قراءة في النظرية النقدية العربية ، بحث في التشبيه المختلف، د.عبد الله محمد الخزامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٤-المصطلحات البلاغية والنقدية عند عبد القاهر الجرجاني، جنان منصوركاظم الجبوري، رسالة ماجستير، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، اشراف، قيس الاوسي، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٥-منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

٢٦-الميزان الجديد، الدكتور محمد مندور، دار النهضة، مصر، الفجالة، مصر، ١٩٧٣م.

٢٧-نظرية عبد القاهر في النظم، د.درويش الجندي، مكتبة النهضة، مصر ١٩٦٠م.

٢٨-نظرية المعنى في النقد العربي، د.مصطفى ناصف، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، مارس ٢٠٠٠م.

٢٩-نظرية النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار المودة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٣م.